

خاص بهم وحدهم. فالشعراء الذين قالوا شعر الغزوات قالوا ما قالوا من وحى البديهة متأثرين بما رأوا أو سمعوا فى تلك الغزوات وما أرادوا إلا تعبيرا عما ماجت به نفوسهم وتأثرت به مشاعرهم، ولذلك كان شعرهم خلوا من التتميق والتزويق وخلا مما يجريه الشاعر مجرى الواقع وهو أبعد ما يكون عنه.

فنظرنا إليهم فى كتابنا هذا نظرنا إلى المؤرخين الذين أرخوا بالشعر وكان هذا قصاراهم، فتلقينا عنهم ما تلقينا كما نتلقاه عن المؤرخ الثبت المحقق المدقق.

إنهم لم يكونوا من المشاهير، اللهم إلا إذا استثنينا منهم سيدنا حسان بن ثابت ولا (ربيع من زهرة واحدة) كما يقول المثل الفارسى. ومرد السبب فى ضعف شأن الشعر فى فترة الغزوات إلى أن العرب - ومن هم فى بلاغتهم ولسنهم - جعلوا يتأملون آيات الله المحكمات وما فيها من بلاغة لا تتعلق بمثلها عبقرية شاعر منهم، وجعلوا يتأملون ويتعجبون فألهاهم ذلك عن الشعر، ولم يجدوا فى عصرهم من الكرماء من ينتجون كرمهم ويأملون جزيل العطاء منهم كما كان الشأن فيما مضى، وكان عصرهم عصر تحول من حال إلى حال، مما استوجب منهم التفكير فيما لم يفكروا فيه من قبل، وهذا مما صرفهم عن الشعر.

ونسوق لذلك مثلا الشاعر لييد بن ربيعة العامرى الذى ملأ الجاهلية ببدايع شعره، عاش حتى أدرك الإسلام وأسلم، وكان أول من ألقى سلاح شعره أمام القرآن الكريم فلم يقل فى عمره الإسلامى إلا بيتا واحدا فقال ﷺ إنه كان يقول الصدق. وسأل سائل ماذا تصنع فى حياتك الإسلامىة الآن، فقال أكتب القرآن. ولو امتد العمر بالأعشى إلى لقاء الرسول ﷺ لدافع عن الرسول وناقش فى ذلك حسان فى قصائده الرسولية^(١).

كما أنه مما زهد فصحاء العرب وغير فصحاءهم فى الشعر ما نسوقه خبرا يؤيد ذلك. فى رواية أن رجلين تهاجيا على عهد النبى ﷺ، ومع كل منهما غواة من قومه وهم السفهاء فنزل قوله تعالى: ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون* وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾

أى فى كل واد من أودية الكلام يهيمون.

قال ابن عباس إنهم فى كل لغو يخوضون.

(١) د. ركى المحاسنى: الأدب الديبى ص ٤٨ القاهرة سنة ١٩٧٠م.